

1200

89562

العرب

مجلة شهرية تعنى بآراء العرب الفكري

بها ورأس تحريرها بمقدونجا

المنشورات  
من الورود - شارع الملكة هاندة ٤٦٤١٢٢٢  
ص ١٣٧ - الزمر الويلدي ١١٤١١  
الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراكات (السنوي)  
إرسال للاشتراك ٢٠ ريال لهم  
الإعلانات: ينمو عليها الإذاعة  
من المراء ١٧٠ ريالاً

ج ٢، ١ س ٢٩ - رجب / شعبان ١٤١٤ هـ - كانون ٢ / شاط (يناير / فبراير) ١٩٩٤ م

## الكتابة في عشر التسعين

أصالة الرأي، وسداد القول، وصِدْقُ التمييز بين الأمور، كل ذلك لا يختص بزم  
دون آخر من أروما عمر الإنسان، إلا أن المرة كلما تقدمت به السن كان أكثر تحارماً  
وحيرة وإدراكاً لحقائق كثير من أمور الحياة ومن هنا قد يكون أسد رأياً ممن لم يمر  
بحياته من السنين ماهياً له منها محلاً للتحارب ومن هنا قال المتسي

وَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَا بَعْدَ قَدْ يُؤْخَذُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبَّانِ  
إِلَّا أَنْ مَنْ الْمَدْرِكُ بِدَاهَةِ أَنْ الْمَرْءُ كُلَّمَا أَوْعَلَ فِي الْحَيَاةِ وَبَلَغَ سَاءَ عَالِيَةً صَعَقَتْ لَدَيْهِ  
جميع الوسائل التي تُكْسِبُ حِسْمَهُ صَحَّةً، وَعَقْلُهُ حَكْمَةً، وَرَأْيُهُ نَصِيرَةً، وَمَعَ ذَلِكَ  
فلن يعدم بعض من بلغ أقصى مراحل الشيخوخة من الحفاظ على ما اكتسب في  
حياته الطويلة من تحارب ومير فيها تيس مختلف الأمور

ولهذا فليس يدعَا أَنْ يَرَى رُهِيرَ مَنْ أَبِي سُلْمَى وَقَدْ تَحَاوَرَ الثَّمَانِينَ يَحْفَلُ شَعْرُهُ  
بالحكم كما في معلقته

سَمِثْتُ تَكَايُفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَّ يَنْ حَوْلًا لَا أَلَا لَكَ يَسَامٍ  
ويحد في شعر عمرو بن أحرر الباهلي قصيدته التي مطلعها

بَانَ الشَّكَا وَأَفْنَى ضِعْفُهُ الْعُمُرُ اللَّهُ دَرَكُ أَيُّ الْعَيْشِ تَنْطُرُ  
وهي تعد من روائع ذلك الشعر، وقد نظمها بعد أن بلغ ثمانية وثماني سة ويقول  
فيها

هَلْ فِي الثَّمَانِي مِنَ التَّسْعِينَ مَظْلَمَةٌ وَرَمْنَا لِكِتَابِ اللَّهِ مُسْتَطَرُّ

ويحاطب الأمير الذي شكَا إليه ما يعايبه أساء البادية من عَمَالِهِ فيقول  
وَلَا تَقُولَنَّ رَهْوَاً مَا تَحْزُرُنَّ لَمْ يَتْرُكِ الشَّيْثُ لِي رَهْوَاً وَلَا الْعَوْرُ

ويقال - وهذا ما لا أنشته - أن (حورح نُبَارْدُ شُو) الكاتبة التحليلي المعاصر ألدع

## الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز

خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

[ ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م - ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م ]

- ١ -

كانت المدينة المنورة بأرض الحجاز العاصمة الأولى للدولة الإسلامية، خلال النصف الأول من القرن الهجري الأول، ثم انتقلت العاصمة إلى الكوفة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (٣١ هـ / ٦٥٦ م - ٤٠ هـ / ٦٦٠ م)، وفي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ هـ / ٦٦١ م - ٦٠ هـ / ٦٧٩ م)، انتقلت الخلافة إلى دمشق وبقيت عاصمة للدولة الأموية لفترة تريد عن التسعين عاماً (٤١ هـ / ٦٦١ م - ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م)، كما ظهر من السياسيين من كان يبذل كل ما في وسعه لارحاع عاصمة العالم الإسلامي إلى المدينة في الحجاز، وكان أقوى من ترعّم حركة سياسية أوشكت أن تطيح بالدولة الأموية، هو عبدالله بن الربير الذي حارب حيوش بن أمية وتعلّب عليها في عدة معارك، لكن حكمة وسياسة الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ هـ / ٦٨٤ م - ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) مكّته من القضاء على ثورة ابن الربير<sup>(١)</sup>

ولم يستمر طويلاً حكم الدولة الأموية، حيث دب الصعف في كيانها، مع ظهور بني العباس الذين استطاعوا أن يترعوا الأمر من بني أمية، وأن يكون السفاح أول خليفة عباسي يستمر في الحكم أربع سنوات (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م - ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م)، ثم أعقبه الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦ هـ / ٧٥٣ م - ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس التي حكمت ما يزيد عن خمسة قرون (١٣٢ هـ / ٧٥٣ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، الذي كان له من الآثار السياسية والحضارية في جميع أحرّاء الدولة الإسلامية ما يجعل العديد من المصادر الأساسية تطيل الحديث عن أعماله، بل وتصفه بالمؤسس الأول لدولة بني العباس، ولما كانت منطقة الحجاز جزءاً مُهمّاً من أحرّاء دولة الخلافة العباسية، فإنّ موضوع هذا البحث سوف يكون مركزاً على أوضاع الحجاز السياسية والحضارية في عهد الخليفة المنصور، حيث ناقش ماظهر في الحجاز من ثورات سياسية صدّ حكم الخليفة،

وكيف تم القضاء على تلك الثورات، مع التطرق لتسائح تلك الثورات على الخواب الاقتصادية والاجتماعية، ثم نتعرض لما قدمه الخليفة المصور من أعمال حيرية تجاه المجتمع الحجازي.

#### أ- الأوضاع السياسية :

في حقيقة الأمر أن أرض الحجاز كانت مهمة لأي خليفة من خلفاء بني أمية في الشام أو بني العباس في العراق، لكي يسطع يهوده عليها، وتكون ولاية من ولاياته، وذلك لمكانتها وأهميتها الإسلامية، وكونها أراضي مقدسة وبها الحرمان الشريفان ففي عهد الخليفة السفاح كان من أول أعماله بعد توليه الخلافة أن أرسل عمه داود بن علي ليكون أميراً على أرض الحجاز<sup>(٢)</sup>، في حين أن الفترة التي ظهرت فيها الدولة العباسية، كان يسكن أرض الحجاز عدد من شخصيات البيت الطالبي، الذين يتسبون إلى كل من الحسن والحسين أولاد علي بن أبي طالب، وكان مقرهم مدينة الرسول ﷺ وماحولها، ومن أهم تلك الشخصيات الإمام جعفر الصادق، والحسن ابن ريد، وعبدالله بن الحسن الملقب بـ (المحصن) ووالده محمد، الملقب بـ (النفس الزكية) وإبراهيم وغيرهم عدد كثير<sup>(٣)</sup> وكان من أحطط الرجال على ظهور الدولة العباسية عبدالله بن الحسن وولده النفس الزكية وإبراهيم، لأنهم من أول وهلة أظهروا عدم رضاهم بأن تكون الخلافة في أياء عمومته من بني العباس، وذاك لاعتقادهم أنهم قد حدعوا أثناء الدعوة السرية لاسقاط الدولة الأموية، في حين أن الدعوة كانت قد أشئت ببعض أفراد البيت الطالبي، ثم انتقلت إلى البيت العباسي، فقوا يدعون سرّاً لرحل من آل البيت، دون أن يمصحوا لاساء عمومته من الطالبيين في ان الخلافة ستكون في رجل من البيت العباسي، وليس من البيت الطالبي، علماً أن العديد من أفراد البيت الطالبي كانوا يظنون أن الخلافة ستكون فيهم، ومن هؤلاء الأفراد عبدالله بن الحسن وولده<sup>(٤)</sup>، ولهذا قاموا باعداد العدة والاستعداد للثورة ضد العباسيين، مد أعلن بنو العباس حلافتهم بزعامة أبي العباس، عبدالله السفاح، وكان عبدالله بن الحسن وولده، محمد النفس الزكية وإبراهيم، هم المترعمين للثورة الماثورة لبني العباس، إلا أن سياسة السفاح كانت تتسم بالمداهة والمسالمة خلال مدة حلافته،

فكان دائما يتصل بالعلويين في الحجار، ويطلب منهم الريادة في أرض العراق، إلى جانب أنه كان يصدق عليهم الأموال الطائلة والهدايا والاقطاعات الرراعية، حتى استطاع أن يكسب رضاهم، فلم يقوموا بأي ثورة ضده<sup>(٥)</sup> لكن هذه السياسة التي سلكها السفاح لم تستمر على نفس المستوى من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور، وخصوصا مع عبدالله بن الحسن وولديه، ومن كان يؤيدهم في الثورة ضد العباسيين، فكان دائما يراقب تحركاتهم خطوة خطوة، فكلما ذهب إلى الحجاز للحج والعمرة بدل ما في وسعه لمقابلتهم والتعرف على مؤامراتهم ومخططاتهم ضده، وفي حالة عدم مقابله، أو تعيب بعض الشخصيات التي كان يخاف منها على مواجته، يسعى ويلج في السؤال عنهم، لمعرفة الأسباب التي معتهم من مقابله، ومن المواقف التي تذكرها المصادر أنه حج سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م فلم ير محمداً وبرايم، ولدا عبدالله بن الحسن، فطلب والدهما وسأله عنهما، والح عليه أن يحضره أين ذهبا، فأبدي عبدالله بن الحسن بعض الأعداء، ملتمسا لولديه من الخليفة عدم عصه منها<sup>(٦)</sup>. وهذا فإن الأمر بدأ يتأزم بين الخليفة المنصور والطالبيين، الذين أصبحوا يحجزون أنفسهم للتورة على الخليفة الذي بدأ يمارس أيضا أنواعا من المصايقات عليهم، إلى جانب أنه أوقف العطايا والهبات التي كانت تصلهم أثناء خلافة الخليفة السفاح

ومن أعمال الخليفة المنصور التي سلكها ضد العلويين، أنه بدأ يرسل الأمراء الأقوياء الذين عرف عنهم الحرم والقوة، ليكونوا ولاية الحجار، ويراقبوا حركات العلويين، ويصيقوا عليهم، ويعاقبهم بالسجن والجلد والتعذيب أحيانا<sup>(٧)</sup>، إلى جانب ارسال الخدم والحواسيس إلى مكة والمدينة، ليتحسسوا لصالحه، ويحروه بكل ما يرون من أعمال العلويين، وكذلك ما يقوم به الولاية الدين ارسلهم إلى الحجار من عمل في احكام السيطرة على المنطقة الحجازية، وقمع الثورات التي تظهر بها وكان الخليفة أيضا يرسل الحواسيس على هيئة تجار في الأسواق أو حدم يقومون بالخدمة في الحرمين الشريفين، كالنظيف وسقاية الححيح وماشاه هذه الأعمال، مع العلم ان مهمتهم الأساسية التحسس ومراقبة أحوال الحجاز لصالح الخليفة<sup>(٨)</sup> وبالرغم مما

كان يدلّه الخليفة من مراقبة العلويين، فقد نحت ثورتهم في المدينة المورة بقيادة محمد النفس الركية في منتصف عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢م<sup>(٩)</sup>. وربما كان سبب ثورة العلويين الأساسية في الحجار أنهم رأوا أن الخلافة قد سُلبت منهم بصيغ بي العباس، عندما نادوا في نادي الأمر بأن الدعوة في آل الرصي من آل البيت، وبعد نحاحهم في اسقاط دولة بني أمية حصروا الخلافة في البيت العباسي، لهذا بذل العلويين كل ما في وسعهم للثورة ضد بني العباس وكسب مساعدة وولاء الحجارين الذين كانوا هم أنفسهم يريدون التخلص من الخلافة العباسية، كما فعلوا مع عبدالله بن الربير في عهد الخلافة الأموية، وذلك ربما طمعا في ارجاع عاصمة الخلافة الإسلامية إلى أرض الحجار، كما كانت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

وبالرغم من أن العلويين طهروا كثرائرين في أرض الحجار ضد ولاة ومثلي الخلافة، إلا أن الخليفة لم يكن يتسرع في ارسال جيش يقصي على ثورتهم، وإنما انتظر حتى يرى ماذا يفعلون، فكان ان قام محمد النفس الركية وكتب رسالة مطولة يذكر فيها أحقية أولاد علي بن ابي طالب في الخلافة، لمواقف حدهم علي بن أبي طالب في خدمة الإسلام، ثم لكونه بين أول من آمن بدين الإسلام، ثم استطرد يعدد مناقب الطالبيين، وعلى العكس يذكر العديد من متالب العباسيين وأحدادهم، ثم يطلب في النهاية أن يتارل الخليفة العباسي عن الخلافة، ويتركها لأهلها أولادهم العلويين، فرد المصور على تلك الرسالة برسالة مطولة أحر فيها بأن بني العباس الذين استطاعوا ان يقصوا على بني أمية، في حين أن أولاد علي بن أبي طالب فشلوا في ذلك، ثم عدد أشياء عديدة من مناقب العباس عم الرسول ﷺ، وكذلك أولاده، وبهذا فهم الأحق برعامة الخلافة الإسلامية، ولن يتارل عن الخلافة كما طلب محمد النفس الركية، ثم قام فاعد العدة وحهر الخيوش لارسالها إلى الحجار، وقمع ثورة العلويين<sup>(١٠)</sup>، وقد ترعم الجيش الذي أرسل من العراق ولي عهد الخليفة المصور عيسى بن موسى فصار في عدد أربعة آلاف حدى سالكا طريق الكوفة إلى الحجار، وعند وصوله استطاع أن يستميل عدداً من رجال محمد النفس الركية، حتى لم يبق معه إلا قلة

قليلة، ثم حاربه عدة أيام، حتي قصى عليه بالقتل والقضاء على ثورته قضاء تاماً<sup>(١١)</sup>. ومع ان ثورة محمد النفس الزكية كانت هائتها الفشل لاسباب قد لا يكون مردها قوة الخليفة المنصور أو الجيش الذي أرسله تحت قيادة عيسى بن موسى، لكن يبدو أن سبب الفشل عائد لما قام به محمد النفس الزكية من ارتجالية في ثورته، بل ولأسباب أخرى عدة نوردتها فيما يلي:

(أ) ظهرت الثورة في بلاد الحجاز فبأت بالفشل، لما تتصف به هذه البلاد من صعوبة التصاريص والمواصلات التي تصلها بغيرها من العالم، ولصيق وقلة الغذاء بها، فهي فعلاً لم تكن أرضاً عمية تسد حاجة سكانها، بل كانت تعتمد على ما يأتيها من أطراف العالم الإسلامي، كبلاد مصر، والعراق واليمن وغيرها، وأكبر دليل على مصداقية قولنا أنه أثناء سماع الخليفة قيام ثورة محمد النفس الزكية انه أمر بالطريق البري والبحري الذي يصل بلاد الشام ومصر ببلاد الحجاز، في أن يقفل فلا تصل إليهم المعونات والمواد الغذائية التي كانت تأتيهم من تلك الأطراف<sup>(١٢)</sup>

(ب) أن من يقارن بين الدقة في التنظيم والترتيب من قبل الخليفة المنصور ومن قبل محمد النفس الزكية، يجد أن الأخير كان ارتجالياً في تنظيمه، بل وفي علاقته بمن انضم معه على الرغم من كثافة حنده حتى ان الطبري يذكر في إحدى روايته انه قد اشترك معه في ثورته ما يريد عن مئة ألف رجل من الحجازيين<sup>(١٣)</sup>، في حين أن عيسى ابن موسى لم يأت بأكثر من أربعة آلاف جندي، فسبب فشله إدارياً عدم التنظيم وعدم جمع كلمة من انضم معه على رأي واحد، إلى جانب تعدد الآراء في اتخاذ القرار لمقابلة جيش المنصور، فهناك رواية تذكر ان الحجازيين الذين انضموا مع محمد النفس الزكية قد اختلصوا فيما بينهم في الطريقة التي يقاتلون بها جيش الخليفة، هل تكون دفاعية أو هجومية، في حين أن فئة أخرى كانت لا ترى في الحرب فائدة وطلبوا من محمد النفس الزكية أن يخرج من المدينة، إما إلى السوادي، أو إلى أرض مصر، حتى يستعدوا استعداداً تاماً، ثم يعودوا لمقابلة جيش الخليفة، وهذه الاختلافات بين رجال محمد النفس الزكية مكنت عيسى بن موسى مع أربعة آلاف من الحاد في أن يقصوا على تلك الثورة قضاء مرمياً

(ح) لم تكن سياسة محمد النفس الزكية في نفس المستوى الذي كان يتصف به الخليفة أبو جعفر المنصور، ولا حتى قائد جيشه الذي ذهب إلى الحجار، عيسى بن موسى، فمحمد النفس الزكية كان في مرتبة أقل من الخليفة وقائده لعدم حزمه وصطه لرجاله الذين قاموا لمساعدته، ثم التسرع في ثورته، بل وفي قراراته، حتى أنه ليدكر أنه في أول حطة حطها، وكانت حوله أعداد كبيرة من الرجال، قال لهم من يريد البقاء معي فليبق ومن يريد الذهاب فإن له ذلك ولا بعة لي على من يعادى، وإبما هو في حل<sup>(١٥)</sup>. فمثل هذا الاعلان في الحطة قد يقلل من شأنه، وفعلًا تركه أعداد كثيرة ممن كان معه، ولم يبق في آخر أيام الثورة إلا عدد قليل<sup>(١٦)</sup>

وطهور ثورة محمد النفس الزكية في المدينة بأرض الحجار كانت لها نتائج سلبية على المجتمع الحجاري، وخصوصاً فيما يتعلق بعلاقة الخليفة المنصور بالحجازيين، حين قيامه بحركة الثورة قام عدد كبير من رجال بني هاشم ومن القرشيين بوجه عام بمساعدة العلويين ضد الخليفة المنصور، ومثليه في أرض الحجار، إلى جانب ظهور أعداد كثيرة من الموالي والعبيد وجميع القبائل العربية المحيطة بالمدينة، أمثال قبائل مريسة، وجهينة، وبني سليم، وعطفان، فانصمت إلى محمد النفس الزكية لمحاربة المنصور<sup>(١٧)</sup> ومع أن المصادر قد أشارت إلى كثرة الأعداد التي انصمت للعلويين إلا أننا لا نستطيع أن نعثر على رواية تذكر أعدادهم على وجه الدقة، في حين أن الطبري أشار بأنهم قد يتجاوزون المئة ألف سمة<sup>(١٨)</sup> في حين أنه كان هناك بعض القرشيين والموالي والعبيد المقيمين في أرض الحجار والمؤيدين للخليفة المنصور، إلا أنهم بدون شك لم يستطيعوا ولم يقدرُوا على مواجعة الثوار، فهذا كان السبب في ارسال عيسى بن موسى بأربعة آلاف رجل، للتصدي للثوار وهزيمتهم وقتل أغلبهم<sup>(١٩)</sup>

أيضاً طبقات العلماء ورجال العلم كانوا أكثر تعاطفاً مع العلويين، ومن أشهر العلماء في الحجار عبد الملك بن جريح، وسفيان بن عيينة وإمام دار الهجرة مالك بن أنس، الذين يُروى أنهم كانوا مؤيدين لمحمد النفس الزكية وثورته، وخصوصاً مالك بن أنس الذي ذكر عنه أن أهل المدينة وما حولها جاءوا إليه يستفتونه في حكم البيعة

التي أعطوها الخليفة المنصور، في حين أنهم يرفعون بقصتها، فكانت فتواه أنهم أعطوا البيعة على إكراه وأي بيعة على إكراه فهي باطلة، وهذه الفتوى يذكر أنه حرق عدد كثير من أهل الحجار مع النفس الركية<sup>(٢٠)</sup>

ومع أن أغلبية أهل الحجار كانت إلى جانب العلويين إلا أن الهزيمة كانت حليف محمد النفس الركية وأعوانه وذلك لأسباب سبق ذكر العديد منها<sup>(٢١)</sup>، ثم أن الخليفة المنصور لم يكن يتورع عند هزيمة العلويين من معاقبة كل من قدم المساعدة لمحمد النفس الركية وأهل بيته، فتذكر بعض الروايات أنه أرسل إلى واليه على المدينة جعفر ابن سليمان العباسي ليقبض على كل من ساعد العلويين من القرشيين فيصعه في السجن أما من ثبث مساعدته من الموالي فيقطع أيديهم وذلك عقاباً لهم على ما عملوا في ماصرتهم العلويين ضد الخلافة<sup>(٢٢)</sup>، أما القبائل العربية التي كان أغلبها قد انضم إلى العلويين فلم يسلموا أيضاً من العقاب، فيذكر أن المنصور أمر بجمع أربع مئة من أعيان قبائل مربية وجهية مع بعض العلويين ثم انزل بهم العقاب الجماعي الذي كان متنوعاً فمهم من سجن ومهم من صرب وقتل<sup>(٢٣)</sup>، ولم يكن عقاب المنصور لم يثر مع العلويين مقتصرًا على الأعيان من القبائل، أو بالتحديد الجماعي كما فعل مع شيوخ القبائل، بل كان أيضاً يبالغ في إيذاء من يفشي أسرار حواشيسه الذين يرسلهم إلى الحجار لمراقبة النفس الركية، وثبت إدانته، فإنه لا يتوانى في انزال العقاب به وأكره مثال على ذلك ما يذكر عن رجل من قبيلة مربية من أنه أطلع على معرفة بعض حواشيس المنصور الذين يراقبون حركات العلويين، فاوصل هذا الرجل حرهم إلى محمد النفس الركية، وأهل بيته، فوصل الحر إلى المنصور فأمر بالقبض على ذلك الرجل، وحلده سبع مئة وقيل تسع مئة سوط حزاء لما فعل من مساعدة للعلويين<sup>(٢٤)</sup>

أيضاً نجد أن بعض العلماء ورجال الفقه والحديث في أرض الحجار لم يسلموا من عقاب المنصور، وأكره دليل على ما حدث هو أن انزل والي الحجار جعفر بن سليمان العباس العقاب بالإمام مالك، سب فتواه التي أعطاها أهل الحجار، فيذكر أنه صر به سبعين سوطاً ثم خلعت يده من كتفه فمضى معاقاً طول حياته<sup>(٢٥)</sup>

وماقام به الخليفة المنصور أو ولاته في الحجار صد من ساعد الثوار ليس بالأمر الحمي حيث ان الوضع السياسي يحتم عليه وعلى ممثليه في الحجار وغيرها ان يحافظوا على كيان الدولة الناهضة، ويقمعوا جميع الثورات التي تظهر صدهم، سواء كانوا من قبيلة قريش أم غيرها، وتذكر المصادر أن الذي أحد القرار والتنفيذ نصرت الإمام مالك هو أمير المدينة جعفر بن سليمان، دون علم الخليفة المنصور، بل وتذهب إلى أبعد من ذلك في أن الخليفة عندما سمع بما فعل جعفر لمالك ذهب إلى الحجار وعزل الوالي من الإمارة، ثم استأذن من الإمام مالك موصحاً له أنه لا علم له بما فعل جعفر بن سليمان، ولم يكن لديه علم بما أنزل به من عقوبة، ثم طلب من مالك إذا أراد أن يرسل العقاب لجعفر فلم يكن من مالك إلا أن عفا عنه<sup>(٢٦)</sup> والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل من المعقول أن يقوم جعفر بن سليمان نصرت مالك ومعاقبته دون علم الخليفة المنصور؟ وللإجابة على هذا السؤال فانه من المستبعد صحة كل ما قيل، ولا يمكن أن يقدم جعفر بن سليمان على عمله فيما يتعلق بمالك إلا بإشارة من الخليفة والأدلة التي تجعلنا نحرم بأن الخليفة هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في صرت مالك عديدة، ومن أهمها

(أ) أن ماسطرت المصادر الأساسية عن حكمة وسياسة الخليفة المنصور تشير إلى أنه ذاك الرجل القوي الذي كان قابضاً على رمام أمور الدولة بيد من حديد، وهذا فإنه ليس من السهل أن يتصرف جعفر بن سليمان دون علمه، وخصوصاً في صرت إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي، مالك بن انس وفي حالة القائنا نظرة على سياسة المنصور تجاه مراقبة أحوال الحجار، ومتابعة سير الأمراء الذين كان يرسلهم لسط البلاد له نستطيع أن نعرف مدى سيطرته على البلاد ومدى مركزيته في حكم الأجراء البعيدة عن مركز الخلافة في العراق<sup>(٢٧)</sup>

(ب) أن جعفر بن سليمان لم يرسل العقاب بالقرشيين والموالي الذين ساعدوا العلويين حتى جاءه الأمر من المنصور في أن ينفذ أمر العقاب عليهم فيسحق القرشيين ويقطع أيدي الموالي<sup>(٢٨)</sup>، وهذا الأمر يكشف دليلاً على أن جعفر لم يصرت مالكا إلا بإشارة من الخليفة

(جـ) ان عزل جعفر بن سليمان من منصبه كأمر للمدينة مقابل صرته الإمام مالك لم يكن في اعتقادي إلا صورياً، إذ رأياه يُعطى إمارة الحجاز كاملة في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ هـ / ٧٧٤م - ١٦٩ هـ / ٧٨٥م) وتوليته هذا المنصب في عهد المهدي ولد أبي جعفر المصور لا يستبعد ان تكون وصية يعقدها الولد لوالده، مكافأة له على ما قام به من صرب مالك وغيره من أهل الحجاز (٢٩).

(د) أن من يتابع الفترة الرمنية التي أعطى فيها الإمام مالك فتواه كانت في منتصف عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢م مع أن جعفر بن سليمان لم يعين أميراً على المدينة إلا في ربيع الأول من عام ١٤٦ هـ / ٧٦٣م، وهذه الفترة الرمنية تكون كافية للخليفة المصور وجعفر بن سليمان في أن يحكما الحطة في صرب مالك (٣٠)، وبالتالي يذهب الخليفة ليستأذن من مالك فيما حل به، ثم يعزل الأمير وهذا يكون قد طهر أمام الرأي العام بأنه يحترم ويحل العلماء ويدافع عنهم، هادفاً إلى التوصل من اظهار نفسه بالمعتدي على رجال العلم، وبالتالي يكسب رضا الناس في عمله، وذلك بعد الذي قام به من الالتقاء بمالك وطلب العفو منه، بل واحبازه بعدم معرفة ما جرى في مسألة صرته

وطهرت ثورة في المدينة بعد ثورة محمد النفس الزكية، عرفت في المصادر التاريخية بثورة السودان، وكان ظهورها بعد هزيمة العلويين، وقتل معظمهم، ففي الوقت الذي واصل الخليفة المصور انتصار جيشه بقيادة عيسى بن موسى، كان قد أمر نارسال أمير يدعى عبدالله بن الربيع (٣١)، ليكون والياً على المدينة، وحين وصول هذا الأمير إلى مقر الإمارة في المدينة، أطلق العنان لجنوده ليعيثوا في الأسواق والشوارع، وكذلك المزارع فيدمروها، مع العلم ان بعض أعيان وموالي وعبيد المدينة حاءوا إلى الأمير عبدالله بن الربيع، ليشتكوا إليه من جنوده، فلم يسمع لهم، ولم يردع جنوده عما كانوا يقومون به من أعمال تخريبية، مع العلم ان فوضى أولئك الجنود كانت في أماكن متعددة من المدينة، إلا أن احتكاكهم كان أقوى بالعاملين من طبقة العبيد في الأسواق والمزارع وغيرها، حيث تم الاعتداء على بعضهم بالقتل، وخصوصاً من كان يمارس التجارة وبعض الحرف اليدوية، فاعتدوا عليهم في سوق المدينة، وقتل بعضهم، وهذا مما أدى إلى تجمع العبيد في المدينة، ثم التصدي لعبدالله بن الربيع ومحاربه وطرده وخنوده (٣٢)

ومن يتقص الأسباب الحقيقية لثورة السودان يحدها متعددة الأسباب، ففي الوقت

الذي ظهرت فيه ثورة العلويين في الحجاز، صيق المنصور الحاق عليهم مما سبب عدم ارتياح من عامة الناس، خصوصاً قتله للثوار وإرساله أميراً لبيت الرعب والحراب في البلاد، ف يريد الأحوال سوءاً، وهذه السياسة كافية لأن تظهر ثورة اجتماعية، لكي يتفهم الناس مما حل بهم من مأس، علماً أن هناك من أرجع أسباب ثورة السودان إلى عوامل أخرى، فيذكر طه الحاحري<sup>(٣٣)</sup> أن الهدف من قديهم ثورة في المدينة على اعقاب ثورة محمد النفس الزكية، هو شعورهم بالقوة، ولذا قاموا يهدفون إلى الحصول على سيطرة سياسية إدارية في أرض الحجاز تمكنهم من حصولهم على مكانة جيدة في المجتمع، وأنا لا اتفق مع الأستاذ الحاحري فيما قال، وإبما شدة المنصور وسوء تصرف الأمير عبدالله بن الربيع والحجاريين كانا السبب الرئيسي لأن تقوم ثورة ضد الظلم والحرب والدمار، الذي فعله حدود بن الربيع، ايضاً لا استبعد ان يكون للعامل الاقتصادي اثر في قيام الثورة، وذلك يتضح مما قام به السودان اثناء ثورتهم وتصديهم لعبدالله بن الربيع وحدوده، في أنهم في نادية الأمر لاحقوهم في أماكن متعددة من المدينة، ثم رجعوا إلى محارن الحبوب والأطعمة الخاصة بالخليفة ورحاله في المدينة فهبوا جميعها، وهذا التصرف يوحي لنا بأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وربما إلى سد رمقهم، والحاجة التي لحقت بهم<sup>(٣٤)</sup>، كذلك من المحتمل ان يكون لأعيان المدينة وسادة العبيد يد في قيام ثورة السودان ضد عبدالله بن الربيع وحدوده، فربما أنهم قد أيدوهم وشجعوهم للتصدي لرحال الخليفة المنصور الذي قتل العلويين، وعاقب من ساندتهم في ثورتهم، وهذا الاحتمال يكون قوياً إذا ما رأينا ما قاله السودان لأسيادهم عندما قاموا بالثورة إذ يذكر الطبري أنهم قالوا: (والله ما قمنا إلا أنة لكم مما عمل بكم فايدياً مع ايديكم وأمرنا إليكم)<sup>(٣٥)</sup> وهذا القول فعلاً يدل على أن العبيد قد ثاروا برضا أسيادهم، كذلك أنهم لم يكسبوا يتطلعون إلى الحصول على رعامه أو نفوذ سياسي كما ذكر الاستاد الحاحري، ايضاً في رواية أخرى ذكرها الطبري في أنهم قالوا صراحة إنما ثاروا وهم فعلاً لا يتطلعون إلى أي نفوذ سياسي، فإن نححت ثورتهم فإن الأمر يترك شورى في ان يعقد مجلس مكون من (أربعة من بني هاشم، وأربعة من قریش، وأربعة من الأنصار، وأربعة من الموالي، ثم الأمر شورى بينهم)<sup>(٣٦)</sup> في أن يختاروا من هو أصلح للحلقة

وقيادة زعامة الأمة الإسلامية، وهذا القول أيضاً يحالف رأي الحاحري، وكيف يقدر العبيد أن يحصلوا على رعامه سياسية في بلاد الحجاز، في حين أن العلويين ومعهم غالبية الحجازيين لم يحققوا هدفهم، وإنما ثورتهم اصححت هباء مشوراً أمام حكمة وصمود الخليفة المنصور.

ابها : د. غيتان بن علي بن جريس  
رئيس قسم التاريخ - كلية التربية - فرع أها

(للبحث صلة)

## الحواشي :

- (١) انظر شمس الدين ابو العباس أحمد بن حلكان «وفيات الاعيان»، تحقيق احسان عباس (بيروت ١٩٦٨م) ح ٣، ص ٧١، السيد عبدالعزير سالم «تاريخ الدولة العربية» الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٧١ وما بعدها، عبدالامير دكس «الخلافة الأموية» ٦٥-٨٦ / ٦٨٤ / ٧٠٥ م (بيروت ١٩٧٣م) ص ٩٩ وما بعدها
- (٢) انظر ترجمة لداود بن علي في كتاب حير الدين الزركلي «الاعلام»، ط ٥ (بيروت ١٩٨٠) ح ٢، ص ٣٣٣
- (٣) أبو المرح علي الاصمهاني «مقاتل الطالبيين»، تحقيق السيد أحمد صقر (بيروت تاريخ الشربدون) ص ١٧٩
- (٤) انظر تفصيل عن الدعوة السرية التي كان سو العباس يسعون من خلالها لاسقاط دولة بني امية ابو جعفر محمد بن حريز الطبري «تاريخ الرسل والملوك» تحقيق محمد أبو الفصل ابراهيم (القاهرة ١٩٦٠م) ح ٧، ص ٤١٢ وما بعدها، أحمد شلبي «التاريخ الإسلامي والحصار الإسلامي»، ط ٤ (القاهرة ١٩٧٠م) ح ١٩/٢٣
- (٥) انظر حول سياسة السعاج مع العلويين، أحمد بن يحيى السلادري «أسباب الاشراف»، تحقيق محمد المحمودي (بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م) ح ٣، ص ٢٣٢، أحمد بن محمد بن عذرة «العقد الفريد»، تحقيق أحمد أمين وأحريش (القاهرة ١٩٦٧م) ح ٥، ص ٧٤، فاروق عمر «الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد بن الرشيد» مجلة العرب، (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م) ح ١
- (٦) الطبري «تاريخ» ح ٧، ص ٥٢٢، السلادري، «اسباب»، ح ٣، ص ٨٥-٨٦
- (٧) ارسل الخليفة المنصور عدداً من الأمراء إلى كل من مكة والمدينة ليضطروا له الأمن في بلاد الحجاز، ويقصوا على ثورة العلويين التي ترعها محمد بن عبدالله بن الحسن، علماً أن أولئك الأمراء كانوا غير متساوين في سياساتهم وتفضدهم أوامر الخليفة، وبعضهم اتصف بالحزم والقوة، كزياد بن عبيد الله الحارثي، والحسن بن زيد، ومحمد بن خالد القسري، إلا أنهم كانوا متعاطفين مع العلويين لقرائهم من الرسول ﷺ، لذا فلم يشددوا القصة عليهم، وإنما كانوا متساهلين معهم فلم يكن يسع الخليفة إلا أن يعرضهم ثم يعاقبهم بالسجن ومصادرة أموالهم، في حين أنه كان هناك أيضاً ولاة آخرون امتاروا بالشدة والقسوة، خصوصاً على العلويين والحجازيين شكل عام، ومن أمثال أولئك الأمراء عثمان بن رباح المري، وعبدالله بن الربيع انظر تفصيلات أكثر، السلادري، «اسباب»، ح ٣، ٨٥-٨٦، الطبري، «تاريخ»، ح ٧، ص ٥١٧ وما بعدها، ابو عبدالله الرزير بن نكار «احبار الموقيات»، تحقيق سامي العاي (معداد ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م)، ص ٣٦٨، اسما عيل اس على بن كثير «الداية والنهاية» (بيروت والرباص ١٩٦٦م) ح ١، ص ٢٦٢
- (٨) السلادري، «اسباب» ٨٥-٨٦ / ٣، الطبري، «تاريخ» ٧/ ٥١٩، اس كثير، «الداية والنهاية»، ٨٤ / ١
- (٩) انظر تفصيلات عن الثورة العلوية التي قامت في المدينه ضد دولة بني العباس في عهد الخليفة جعفر المنصور الطبري «تاريخ» ٧/ ٥٥٢-٦٠٩، مؤلف مجهول، «العون والحدائق»، تحقيق ام دي عوى (لندن، ١٨٦٩م) ٣/ ٣٤٩-٣٥١، علي بن الحسين المسعودي «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، تحقيق شارلا (بيروت ١٩٦٦م) ص ١٤٥

J. Lassner The Shapping of the Abbasid Rule (Princeton 1980) PP 70 2 1 Omar Some Aspects of the Abbasid-Husaynid Relation During the Early Abbasid Period 132 193 A H 750-809 A D" Arabica, Vol. XXII (1975) PP 170ff

- (١٠) انظر للرسائل التي بادها الخليفة أبو الجعمر المصور مع محمد النفس الزكية، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٦٦-٥٧١، فاروق عمر «السنابل المتداولة»، ص ٢٠ وما بعدها
- (١١) انظر نفس المصادر والصفحات التي ذكرت في حاشية (٩)
- (١٢) أبو عبد الله الرزير بن نكار، «أحبار الموفقيات»، ص ٣٣٩، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٧٨، ٦٠٣، حمد الحاسر «في شمال غرب الجزيرة»، بخصوص، مشاهدات، انطاعات (الرباط ١٣٩٠ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٢٠٩
- (١٣) انظر الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٨٢
- (١٤) انظر تفصيلات حول تلك الاحتمالات في الرأي، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٧٢-٥٧٣، ٥٨٠-٥٨٢، ٥٨٦ وما بعدها
- (١٥) و (١٦) الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٢٧-٥٢٨، ٥٧٩، ٥٨٧-٥٨٩، ابن نكار، «أحبار الموفقيات»، ص ١٨٦
- (١٨) و (١٩) الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٨٢
- (٢٠) اشارت بعض المصادر إلى الفتوى التي أفتى بها الإمام مالك لأهل الحجاز على ترك بيعه الخليفة المصور والانضمام إلى العلويين الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٦٠، مؤلف مجهول، «العيون والحدائق»، ج ٣، ص ٢٩٨، ابن كثير، «البداهة والنهاية»، ج ١٠، ص ١٤، حلال الدين عبد الرحمن السيوطي «تاريخ الخلفاء»، محقق يحيى الدين عبد الحسيد (القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) ص ٢٦١
- (٢١) انظر في الصفحات السابقة من البحث نفسه
- (٢٢) ابن نكار، «أحبار الموفقيات»، ص ١٨٦، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٧٩
- (٢٣) الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٥٠، ٥٩٠
- (٢٤) البلاذري، «انساب الاشراف»، ج ٣، ص ٨٨ وما بعدها، مؤلف مجهول، «العيون والحدائق»، ج ٣، ص ٢٣٥
- (٢٥) أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة «الامامة والسياسة»، تحقيق طه الرسي (بيروت ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م) ج ٢، ص ١٤٨، المؤلف نفسه المعارف، تحقيق ثروت عكاشة (القاهرة ١٩٦٠ م) ص ٤٩٩، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٥٦٠، مؤلف مجهول، «العيون والحدائق»، ص ٢٩٨
- (٢٦) انظر نفس المصادر والصفحات التي في معلق (٢٠)، (٢٥)
- (٢٧) من الأمراء الذين ارسلهم الخليفة المصور إلى الحجاز، ريداد بن عبد الله الحارثي، والحسن بن ريد، ومحمد بن خالد القسري، وعثمان بن رباح المري، وعبد الله بن الرسع
- (٢٨) ابن نكار، «أحبار الموفقيات» ص ١٨٦
- (٢٩) لقد ترك الخليفة أبو جعفر المصور لولده المهدي دولة مترامية الأطراف، حاله من العوصى والاضطرابات الداخلية، إلى جانب انه ترك له حراة وافرة بالمال، علما انه صادر أموالا كثيرة من العلويين وغيرهم من الثوار في بلاد الحجاز، إلا انه عندما حضرته الوفاة كان قد ترك بعض النصائح لولده، كان يحسن إلى بعض من أساء لهم - الخليفة المصور - وخصوصا من القرشيين فيدفع لهم الهدايا والأعطيات، بل ويوليهم المناصب الادارية، فكان جعفر بن سليمان ضمن من انطبق عليه نصائح الخليفة المصور
- (٣٠) الطبري، «تاريخ» ج ٧، ص ٥٥٦، ٦٥٦، ابن كثير، «البداهة والنهاية»، ج ١٠، ص ٨٤
- (٣١) لقد أشار الطبري إلى أعمال عبد الله بن الربيع كأمير في بلاد الحجاز خلال عهد الخليفة المصور، «تاريخ الرسل والملوكة»، ج ٧، ص ٦١٠ وما بعدها
- (٣٢) أحمد بن يعقوب البغدادي «تاريخ البغداد»، تحقيق أم هوسبا (بيروت ١٨٨٣ م) ج ٢، ص ٤٥١-٤٥٢، الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٦١٠-٦١٤، عز الدين أبو الحسن ابن الأثير «الكامل في التاريخ»، تحقيق س تورنبرق (بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ج ٥، ص ٥٥٦-٥٥٧
- (٣٣) طه الحاحري «الحافظ، حياته وتراثه» (القاهرة ١٩٦٩ م) ج ٢، ص ٢٤٣
- (٣٤) و (٣٥) و (٣٦) الطبري، «تاريخ»، ج ٧، ص ٦١١، ٦١٢